"كل دقيقة لا تضيف إلى وجودك،

فإنها تحط من قدرك"

- ديل كارنيجي -

ريموند كروك (١٩٠٢-١٩٨٤):

ثلاثون سنة عمل... ليجهز غذاءنا خلال ثلاث دقائق

لم تكن لوجبة الهمبرغر هذه الشعبية الكبيرة التي تحظى بها الآن قبل دخول رأي كروك في هذا المجال.

لريموند كروك قصة نجاح بدأها من الصفر، واستغرق حلمه أكثر من ثلاثين عاماً ليتحقق، ولولا صبره وعزيمته لما كان الهمبرغر يحتل مرتبة الأكلة السريعة الأولى في العالم، ولم تكن الفرصة متاحة لآلاف الناس ليفتتحوا مطاعم في جميع أنحاء العالم، مستغلين بذلك الامتياز الذي تعطيه مطاعم ماكدونالدز.

ولد ريموند كروك في أوك بارك، غربي مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة العام ١٩٠٢ وترك المدرسة من الصف الثامن، فقد كان يكره المدرسة كثيراً ولا يطيقها، وكانت أيامه في المدرسة صعبة، فكان طالبا كسولاً لا يظهر تقدماً في أي مادة، ويكره كل شيء في المدرسة إلا شيئا واحداً هو النقاش، ويحب أن يكون مصدر اهتمام دائم، وأن يسمع رأيه دائما ويؤخذ بعين الاعتبار.

وكان يكره القراءة. لكنه كان فتى حالما، ومنشغل البال، وعندما تسأله أمه ماذا تفعل، كان يقول لها: إني أفكر فقط" فكانت تقول له: "توقف عن أحلام اليقظة وكن واقعياً" وحتى إن لقبه كان داني الحالم. ولكن بالنسبة إليه لم يكن يعتقد للحظة بأن أحلامه هي طاقة ضائعة أو مضيعة للوقت.

دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب العالمية الأولى بعد انتهاء مدرسته، فعمل كروك في بيع حبوب القهوة من منزل إلى أخر. كان متأكدا من أنه سينجح في حياته من دون أن يعود إلى المدرسة وأنه سينجح في حياته ويسهم خلال الحرب، ولكن أهله عارضوه بشدة، فنجح في إقناعهم بالعمل في الصليب الأحمر وَزوَّر في عمره ليستطيع أن يقود سيارة الأسعاف، وكان معه في الموقع نفسه شخص آخر زوَّر في عمره وكان صديقا له وهو "والت ديزني" الشهير.

بحث راي كروك منذ صغره عن طرق لتحسين وضعه ومعيشته. وعن ذلك يقول راي: "عندما كنت طفلا، رأيت والدي يكافح ويجهد ويتعب ليحصل على راتب متواضع؛ لذا قررت أن أكسب المال، وكنت أعلم أن الطريقة الوحيدة لذلك هي إيجاد الفرصة المناسبة، ولتحصل على الفرصة المناسبة يجب أن تقتنص أي فرصة تأتي إليك، وهذا ما فعلته دائما".

أحَبَّ العزف على البيانو، وعندما أصبح معه مبلغ من المال وقدره ١٠٠ دولار افتتح مع اثنين من أصدقائه محلا لبيع آلات الموسيقا. كان يغني ويعزف أكثر من البيع؛ لذا فشل المشروع بعد مدة قصيرة واضطروا لبيع الأدوات وتقسيم المال.

تزوج راي كروك وهو في العشرين من عمره، وعمل بائعاً في شركة ليلي - توليب للأكواب. ولم تمض مدة طويلة حتى عاد إلى الموسيقا وأصبح المدير الموسيقي لراديو شهير في شيكاغو، وكان يلعب على البيانو، وينسق الأغاني، ويرافق المغنين ويؤمن الموسيقيين، ومن أهم ابتكاراته فريق يقدم أغاني كوميدية تحت اسم سام وهاري الذي اشتهر في ما بعد تحت اسم "أموس واندي".

بعد حوالي العام ونصف العام من بدء عمله في الإذاعة، ترك راي كروك عمله ليبحث عن فرصة جديدة في بيع العقارات في فلوريدا، حيث عمل في أوج نهضة بيع الأراضي عام ١٩٢٠، لكن عندما انهارت هذه النهضة عام ١٩٢٦م

انتهى الأمر براي كروك مفلساً ومعدماً، فاضطر مجددا للعمل في نايت كلوب ليكسب بعض المال؛ ليستطيع أن يرسل زوجته وطفلته إلى شيكاغو في القطار. وبعد ذلك بمدة عاد هو إلى شيكاغو في سيارة فورد موديل "ت".

عاد راي كروك بعد فشله في بيع العقارات إلى عمله القديم في شركة ليلي- توليب، وبعد فترة قصيرة أصبح مدير المبيعات. وبعد ما يقرب من ١٧ عاما من عمله في بيع الأكواب وتسلقه إلى قمة سلم المبيعات في الشركة، أحس راي كروك بأن الوقت قد حان ليكون لوحده ويكون مدير نفسه. لذلك استقال من عمله وأبرم صفقة مع مخترع خلاط يخلط خمسة أنواع من الميلك شايك في وقت واحد، وأقنعه بأن يكون موزعه الأوحد في الولايات المتحدة. ويقول كروك عن هذه الحقبة: "لم يكن من السهل أن أتخلى عن وظيفة تعطيني الأمان والاستقرار المادي لأبدأ عملا حرا غير مضمون النتائج. لقد صعقت زوجتي عندما علمت بقراري وشككت به قائلة: "ربما كان الخلاط جيداً ولكن ما الذي يضمن استمراره، ربما كان موضة أو بدعة وستنتهي". وكان جوابي مقتضبا: يجب أن تثقي بحدسي وأنا واثق تماماً بأن هذا المشروع سينجح".

انغمس راي كروك مدة ٢٢ سنة يطوف جميع أنحاء البلاد ليبيع خلاطه ويقنع العالم به، وعلى الرغم من أن ذلك أكسبه بعض المال، لكنه اكتشف أنها ليست الفرصة التي كان ينتظرها.

في العام ١٩٥٤م زار راي كروك، والبالغ من العمر ٥٢ عاما كشكا لبيع الهمبرغر في سان برناردينو في كاليفورنيا وكان يستعمل ثمانية من خلاطه، ولاحظ كروك أن أصحاب المطعم الصغير الإخوة موريس وريتشارد ماكدونالد يقومون بعملهم بشكل رائع من خلال بيعهم للهمبرغر والبطاطا المقلية، والمليك شيك بتحضير مسبق، والذي لفت نظر راي كروك هو الازدحام الشديد حيث كان الناس ينتظرون بالطوابير ليحصلوا على الهمبرغر، كذلك النظافة والسرعة في

الخدمة. كان الإخوة ماكدونالد يبيعون الهمبرغر العادي بـ ١٥ سنتاً والبطاطا حارة ولذيذة. كانت عملية التحضير والتقديم سلسلة وغير معقدة، وهذا ما شغل باله في تلك الليلة التي رأى فيها المطعم، وعن ذلك يقول:" لقد سرني المشهد وشغل بالي طوال الليل، رأيت مطاعم ماكدونالد تجتاح كل الأسواق، وتخيلت أعداداً هائلة من المطاعم، ونجاحا عظيما، كما رأيت في كل من هذه المحلات ٨ آلات للخلط في كل مطعم تدر عليَّ الأموال الطائلة".

لم ينتظر كثيرا ففتح الموضوع مع الإخوة ماكدونالد في اليوم التالي، مقترحاً أن يتم افتتاح سلسلة مطاعم لماكدونالد في كافة أرجاء البلاد. كان راي كروك يتمنى موافقتهم حتى يبيع الخلاط، ولكنهم رفضوا الفكرة تماماً لأنهم مقتنعون بما لديهم، فلم المخاطرة بافتتاح فروع جديدة؟ عندها اقترح أن يفتتح هو المطاعم شريطة أن يبتاع كل فرع ثماني آلات للخلط. وتمت الموافقة.

- ريتشارد ماكدونالد -

ونص عقد الاستثمار بين راي كروك والإخوة ماكدونالد على أن يبدأ راي كروك بإنشاء مطاعم على طراز تصميم المطعم الأصلي نفسه، وأسلوب الخدمة نفسه وأسلوب التحضير نفسه أيضاً. على أن يظل الاسم نفسه مقابل أن يعطيهم نصفا في المئة من الدخل الإجمالي على لكل مطعم. وبالفعل تم افتتاح أول مطعم لماكدونالد العام ١٩٥٥ في ديس بلاينز في شيكاغو، وكان عمر راي كروك آنذاك ٥٣ عاماً، مع نهاية العام ١٩٥٥ كان قد افتتح راي كروك مطعمين جديدين في كاليفورنيا، وبعد ما تأكد من أن المال يكمن في بيع الهمبرغر، باع حقوق توزيع الخلاط ليتمكن من افتتاح المزيد من مطاعم ماكدونالدز. وخلال ٥ سنوات كان كروك قد افتتح ٢٠٠ مطعم أمنت له دخلا يبلغ حوالي٧٠,٠٠٠ دولار في السنة. لكنه كان يحس بأن ماكدونالد تستطيع أن تكون أفضل.

- شعار مطاعم ماكدونالدز -

قرر راي كروك بعد ذلك أن يجعل من الذين يريدون الحصول على الامتياز مستأجرين لديه وبذلك فهو يختار المكان، وهو الذي يؤسسه ويجهزه، وبعدها يدفع الشخص الذي يريد أن يحصل على الامتياز إيجاراً إضافة إلى ثمن الامتياز، وكانت هذه فكرة رائعة ولكنها كانت تحتاج إلى المال الكثير، فكان يحتاج إلى حوالي مليون ونصف المليون دولار لكي تنجح هذه الفكرة، ولكن لسوء الحظ لم يكن لديه المال أو حتى مصادر للدين. مصدر دخله الرئيس كان قد شح بعدما باع حقوق توزيع الخلاط مقابل ١٠٠٠٠٠ دولار وقد دفعها مقابل طلاقه من زوجته، وكان كل ما يملك يبلغ ٩٠٠٠٠ دولار بما فيها منزله.

بعد معاناة استطاع الحصول على المال من شركات تأمين عدة. وفي العام ١٩٦١ اشترى كل ما يملكه الإخوة ماكدونالد مقابل ٢,٨ مليوني دولار.

- كروك يأكل برجر أمام أحد مطاعم ماكدونالدز -

وفي العام ١٩٦٥ بلغ عدد مطاعم ماكدونالد ٩٣٨ مطعما ومبيعاتها السنوية تقدر بحوالي ١٧٠ مليونا، وعندما بلغ راي كروك عامه السبعين كانت مطاعمه قد باعت ١٠ مليارات سندويتش همبرغر ووصلت مبيعاتها لأول مرة إلى مليار دولار. ووصل عدد مطاعم ماكدونالد في العالم عام ١٩٩٥ إلى ١٥ ألف مطعم قدرت مبيعاتها بأكثر من ٣٦ مليار دولار، ويقارب عدد العاملين فيها ٣٠٠ ألف عامل في الولايات المتحدة الأميركية وحدها.

يقول راي كروك عن نجاح ما بعد الخمسين: "لقد ساعدتني الأيام التي قضيتها في بيع الأكواب والخلاط كثيرا. صحيح أني نجحت متأخرا، ولكن ذلك لا يعني أني نجحت مصادفة، لأن الناس لم يعيشوا معي أيام المعاناة وأيام كنت أحلم وأغتنم أي فرصة لتوصلني إلى ما وصلت إليه".

توفي راي كروك إثر نوبة قلبية في ١٩٨٤/١/١٤م عن عمر يناهز الثانية والثمانين.